المنار

١٣١٥

يقرر مبادئ الدين بنصوص القرآن بنصوصاً مبينة لتلك النصوص مراعاة لحال المخاطبين

تقرأ الكلمة ويشفع بها الكلمة بقدر الحاجة ولا يكتب بياض الا بقدر الحاجة

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام بدأ غريباً و « منارا » كمنار الطرق

﴿ مصر — الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ — ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ ﴾

فاتحة السنة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع العسر يسراً ومع الشدة فرجاً ، ومن يتق الله بإقامة سننه يجعل له مخرجاً ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعث الى الابيض والأحمر ، وقام بأمر ربه ١٥ : ٩٤ فاصدع بما تؤمر ، فكر به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم فتبعوه وحاربوه ، حتى شجروا

رأسه ، وكسر واسنه ، وعذبوا من اتبعه من ضعفاء المؤمنين ، فصبر وصبروا حتى كانت العاقبة للمتقين ، ٣٧ : ١١٦ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ »

وبعدُ فإنا نقص في فاتحة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له، نبأ من تاريخه الصريح ، الذي كنا نشير اليه بالتلويح ، تذكيراً وتفصيلا للقراء السابقين ، وعبرة للقراء اللاحقين ، وأخص العثمانيين الذين طالما ارتصدت فراشهم عند ذكر المنار ، حتى ربما كنى عنه بعضهم بلفظ النار ،

أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثمان صفحات ، وقد بينت في العدد الأول منه الغرض من انشائه ، ومذهبه في الاصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان منهاجه في الاصلاح السياسي ، مع التصريح بنزعته العثمانية ، وخدمته للدولة العلية ، وانما أسكتني عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى) فقد كنت استشرته في انشائه ، وقرأت له تلك الفاتحة قبل طبعها ، وكان فيها ان من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك الفاتحة الا هذه الكلمة ، فاقترح عليّ ان أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض في السياسة العثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس هنا لا يحبون ان يسمعوا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالتربية والتعليم ، فلا تخلط السياسة بمقاصدك الاصلاحية فلا تفسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته

هذا معنى ما قاله ، وقد حذفت تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سالمتني كما سالمتها ، ولكن أبى عليها الخرق والتوّ ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فأذنتني بالحرب ، وآذنتني في الأهل والصحب ، حتى ألجأني اعتداؤها على حقيقتي ، الى التصدي في استعراف ظلمها لامتي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لرؤساثها واعوانها الظالمين ، ٤٥:٥١ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ

جئت مصر وأنا أحسنُ الظنَّ بالسلطان ، دون من يحيط به من الوزراء والقرناء والخصيان ، وأسيء الظن بطلاب الاصلاح من الاحرار ، واعتقد أنهم انما يطلبون الرتب والاوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح بهذا وذاك في السنة الاولى مع المطالبة بالاصلاح ، والشكوى من عاقبة الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقد ، وأبثّ الا ما أعلم وأجد ، منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة الاستبداد) توزيع العدد الثاني من السنة الاولى وأرسل البرقيات الى جميع أنحاء الولاية بوجوب جمع ما وزّع منه واحراقه ، ولم يكن فيه شيء مما كانت تنكره الحكومة في ذلك الوقت ، وانما فعل ذلك مرضاة للشيخ أبي الهدى افندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد جمال الدين الافغاني ، فهو الذي أوعز الى الوالي بأن يصادر المنار ، كما أوعز بذلك الى بدر حيدر باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منهما يمنع بعض الاعداد ، التي يؤذن بتوزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد ، حتى هبطت الارادة السنية ، وصدرت الاوامر العلية ، بمنعه من جميع الولايات العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !

لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدري باشا واعوانه

بأن يؤذوا والدي واخوتي، ويبذروا عشيرتي وذوي مودتي، ولما رأى بعدي باشا أن مجلس ادارة اللواء، لا يوافقه على ما يقصد من الايذاء، وان الايذاء بغير يد الحكومة، لا يشبع تلك النفس الضارية المذمومة، أبدى هو ونيمته للسيد الوالد (رحمه الله تعالى) نوايا الشر، ثم أشخصوه الى مصر، ليحملني على مشايعة ابي الهدى، وعدم المبالاة بمن دونه من الورى، وبعد طول المذاكرة رضي مني بأن اكتب اليه كتابا مني أبين له فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه واني لا أريد الا الاصلاح ما استطعت، وكتب هو اليه كتابا آخر، فلما تم أن جاءنا منه الجواب وهذا نص ما كتبه الى بعضه:

الحمد لله وحده

من الفقير اليه تعالى محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي رفع عنه الى جناب الاديب الكاتب الشيخ رشيد رضا افندي كان الله تناوله وللمسلمين. وصلني قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتابا من والدكم وكتبت له الجواب في يوم اليوم فكن رفيق الخاطر طيب البال نعم اني أرى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقة وقد اندرجت به الى الحسينية التي كان يزعم انها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة وسما أنه ما زندراني من أسلاف الشيعة بعد المخابرة مع سفارة ايران بدار السعادة والسفارة السنية في ايران وهو حي وما قدر على الدفاع، وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية، وارائك تملأ جريدتك كل يوم باعتقاد الصوفية أبحاث جلوا ما هي من طريقهم وكذا أولتها وفي بعضها أنت محق بلاشبهة الا انك تعلم ان العلماء الآن مع كالشافعي وابي حنيفة وعظماء السلف

تمسكا بالشرع ولا علمة الأمة كالعلامة الاول فلو انصفت وخدمت دينك بغير هذه المواضيع واذا ألزمك طورك وقلمك بالتطرق فبتلك تتقيد أعمال الامم السائرة من غير الاسلام انقاداً عقلياً يستميل اليك القلوب ويرمي عنك ربك لكان أولى، ولما طاب قلبنا لك نصحناك والموعد الله في كل غاية والسلام في ١٩ رجب سنة ١٦

* * *

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤلمه من المنار محصور في أمرين أحدهما التنويه بالسيد جمال الدين الافغاني وذكره بلقب « السيد » ولم أكن أمنح أبا الهدى هذا اللقب لأني لا أعتقد شرفه . وثانيهما انتقاد خرافات أهل الطريق التي جعلها أساس عبده ، ولكنه كان يوهم السلطان أن المنار لم ينشأ الا لأجل الطعن فيه كما يعلم ما يأتي. فكتبت اليه كتابا بينت فيه انني لم أكتب ولا أكتب الا ما اعتقد أنه نافع وذكرت له رأيي في السيد جمال الدين فلم يلبث اذ أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولدنا الروحاني الأديب الأريب الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي آل رضا المحترم

أدعو لكم ولوالدكم بالخير والعافية ودوام التوفيق، وجداً سرت مما نوّلتم من تحرير انكم المرسلة والمأمول من عناية الله وفضله أن يديم لكم التوفيقات فيما يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدونه من مراتب العلمية الشريفة لك فهي ان شاء الله أول الفيوضات ولا يجنحن بالك ان ذلك لعوائق هذه الدنيا بل اني أعجبني قولك واطمأن قلبي لصدقك ولبراءتك وارجو الله اصلاح شأنك في الله كما هو مطوي في كل من له الجناب الرفيع نسبة . وأوصي رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبيض الوجه حالة القدوم على الله

ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم [1] وبحوله تعالى عند حيثكم الينا وافكاركم عن هذه العوارض الحاضرة الزائفة التي لا تنطبق على مجد النسبة نوعاً ما وان كان قصدكم حسنا فهنالك تبلج فيكم أنوار نسبتكم بالتحقق في الطريق الأقوم تحت نظر سر الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون اذن خدمتكم للدين والمسلمين على النهج الشرعي الصحيح الأمين ومني لكم الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام

كتبه محمد ابو الهدى

١٦ شعبان سنة ١٦

عفي عنه

قرأت هذا فبادرت الى ارسال كتاب اليه جزمت فيه بأني لا أقبل الرتبة العلمية التي طلبها لي واني من الذين يرغبون عن الرتب والالقاب فيجب الرجوع عن طلبها واني لا استبدل بخدمة المنار للملة خدمة أخرى مهما كان مظهرها وفائدتها واني لا اطلب من الاستانة الا الاذن بدخول المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب او فيما قبله بترك التنويه بالسيد جمال الدين ما دام المنار مأذوناً له بدخول بلاد الدولة . وسكت على ذلك وسكتنا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه المكاتبة كتب ناظر خارجية انكلترا الى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاستانة كتب اليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاسلامي وان الخديو مختار

(١) يريد رفيق عبد الحليم حلمي اقدي مراد وكان يومئذ مديراً لاشغال المنار وكان سافر الى الاستانة قبل ذلك وبلغني انه اجتمع بابي الهدى ولم أدر ماذا كان بينهما ولم يكن لذلك السفر علاقة بالمنار

باشا الغازي يساعدانهما وان السلطان يرغب اليه بأن يسعى لدى حكومته بابطال هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك يدا يكافئه السلطان عليها !! فأخبر اللورد الامير بذلك فعجب أشد العجب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا يساعد المنار ولا المقتبس الاساسي بل لم يكن يعرف من مشرب المنار الا ما يخبره الاستاذ الامام من أنه جريدة دينية أدبية.

سألني الامير عن ذلك سرا في يوم عيد الاضحى (سنة ١٣١٦) عند ما أردت الخروج مع العلماء من مقابلة التهنئة له بالعيد وأمرني بأن أذهب الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم احمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي) فذهبت من حضرة الامير الى غرفته وكان يقرأ المنار ويعلم انه ليس فيه تحامل على السلطان بل لا يخلو من مدح له، ورأيته جازما بأن أبا الهدى هو الذي سعى عند السلطان هذه السعاية وضرب سهامه فيها الى عدوين من أعدائه: الامير ومختار باشا الغازي. فأخبرته بأن بيني وبين ابي الهدى سلما وذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان يحتج بهما فقلت له ان المراسلة بالامانة واني لا اجيز لنفسي ان أظهرهما مادمت أعلم أن اظهارهما يؤذيه بتغيير السلطان عليه، واستدلالا بهما على خيانته له، اذ يجعله ترسا يدافع به عن نفسه. وأما اللورد فقد جرى في المسألة على ما تعود من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بعد البحث ومعرفة الحقيقة

كرّ اعوان ابي الهدى على أهل كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم فضربوا الحداخر في وهو خارج من طرابلس الى القلمون ليلا وسرقوا فرسا لنا وحاولوا الخف مسجدنا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالطعن في المنار والقسوا لها المساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى احمد تقي

فاضطررت الى كتابة مقال عنوانه « مؤاخذة الملهاء » (٣٠ ص و ١٠ هم ٢) اسكتهما به عن التهاوي في الطعن ، ولكن ألسنتهم لم تسكت عن السب واللعن ، الا بعد ان أذيل منهم ، وخفدت شوكتهم وذهبت ريحهم ، وخرج يدري باشا من طرابلس منهزما مندحرا ، وبدلنا به عبد الغني باشا العابد وكان لنا وليا حميا ، بل غلب نفوذ عزت باشا العابد على نفوذ الشيخ ابي الهدى في جميع البلاد السورية ، فازداد اقتدار المنار فيها وان لم يرسل الا في البريد الاجنبية ، وأمن الاهل والقراء على انفسهم طائفة من الزمان ، حتى كان منذ اربع سنين ما كان ،

ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني المنار . وفي أواخر الثانية وأول الثالثة صار يتردد علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في الاستانة ويعرض علينا الرتب والوظائف اللائقة اذا نحن تركنا المنار ، وغادرنا هذه الديار ، فوشكت ان اكون يومئذ قاضيا أو مفتيا في الشام أو بيروت او آخذ مرتبا شهريا عظيما من الدولة لفعلت ، وقد قيل عبد الحليم افندي حلمي أن يترك مصر ويكون مساويا للناظر النحوس في بيروت برتب كرتب الناظر فقال ذلك على انه لم يكن كاتبا ولا سياسيا ولا ذا شأن في المنار وقد بلغني وقتئذ أن ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ٨٠٠ ليرة عثمانية سماها ثمنا لمطبعة المنار ولم يكن للمنار يومئذ مطبعة تساوي ٨٠٠ قرش !

وفي أثناء السنة الرابعة غضب علي أمير هذه البلاد وآذنني صديقي حسن باشا عاصم (وكان مدير ثانيا يومئذ في ديوان التشريفات) بانه لا يرضى ان أقابله بعد وكان يقول لي قبل ذلك ايان لك ان تجيء الي في قصر عابدين أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضا على الاستاذ الامام وكلما اشتد غضبه على أحدنا يشتد على الآخر ولا احب ان اذكر الآن شيئا

بما سمعته او علمته من آثار هذا الغضب الا ما قيل من عزمه على اخراجي من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للاستاذ الامام مرة ان افندينا يريد ان ينفي صاحب المنار من مصر ويطلب منك ان تسكت على ذلك ولا تحمل لورد كرومر على المعارضة فيه ... وسمعت مثل هذا الخبر بعد وفاة الاستاذ الامام . وقال لي أحد معارفي في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦ ان السر غورست على وفاق مع الخديو وهو لا يعارضه في الانتقام ممن يغضب عليه ولا سيما اذا كان عثمانيا لانه ليس كلورد كرومر في المحافظة على الحرية الشخصية وقد علمت أن الخديو غضبان عليك فيجب ان تسعى في استرضائه لئلا ينفيك من هذه الديار وانه ربما يفعل ذلك . فقلت له انني لا أكتب في هذه السنين شيئا عنه ولا أعلم ان في المنار شيئا يسوءه فلماذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في المنار ثناء ، وانما هي اقوال عنه وآراء ، ولا يمكن أن يخلو المنار من ذكره وان مصر لا مزية لها عندي الا الحرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فاذا كان الخديو ينفي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا أحرص أنا على الاقامة بها ، أو آسى على البعد عنها ؟ انني اذا أظلمن الى الهند ، واني لا علم انه يكون لي فيها مقام كريم لا اجد مثله في مصر . هذا وان مثل هذا الخبر ليس برهانا يقينيا على صحة ما قيل عن الامير برأه الله وحماه مما لا يليق به ، وان كان عند بعض الكبراء ونظار الحكومة نبأ منه ،

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في المنار ومقالات «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» فتضاعف قراء المنار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائه ولا سيما في القطر السوري »

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فرغب الي الاستاذ الامام أن لا أتمها فوافيت رغبته ولكني صنفت ذرعا بسوء حالنا السياسية فصرت اكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يجيز ذلك لانه انما ينهى عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثر دبيب عقارب السعاية من جواسيس المابين بمصر وتواترت التقارير في الاستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الذي بلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان بينه وبين الاستاذ مودة سابقة منذ كانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الا صنعة عزت المجددة في المابين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السعايات والمفاسد قد زور رسائل بتوقيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المابين فاشتد خوف السلطان من الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي ارجع بعض المستشرقين عن السعي لانشاء دولة عربية لاعتقاده ان التفريق بين الترك والعرب يضعف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة محو الدولة الاسلامية من الارض واني ما وقفت على اكثر ما اشرت اليه هنا الا بعد موته

ولما دخلت السنة الثامنة الا وقد صار النفور والخلاف بين الامير والاستاذ على اشدهما كما ان السعاية الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض على الاستاذ حتى كان يجود بنفسه في الاسكندرية والحكومة العثمانية تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلّغوا المابين انه سافر الى بيروت متنكراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية !! ألا قاتل الله اولئك النحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيانتهم له وللدولة والامة . وفي هاتين السنتين كان الاستبداد قد شد الخناق على محبي العلم والاضطهاد لمقتني الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطرابلس بحسني بك متصرفا ! وكانا من شر اعوان الاستبداد والمخلصين له فيما يحاول من الظلم والافساد ، فأسرفا في تفتيش البيوت ! واخذ الكتب والاوراق منها ! والمؤاخذة على اقتنائها ! حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم بالنار ! ومنهم من كان يدفنها بل يئدها كما تئد الجاهلية البنات ! حتى احرق في سنة واحدة عشرات الالوف من المجلدات !

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الجرائم ، منها الصغائر ومنها الكبائر ، وكان اقتناء المنار اوما طبع بمطبعة المنار ، هو اعظم الذنوب وأثقل الاوزار ، وكان الحكم على مجرمي الكتب بالهوى لا بالشرع ولا القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رأفة ، ولا تُقبل منهم شفاعة ولا عدل ولا هم ينصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين لم يستعملوا بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك الدم وافساد الأمن ، واهلاك الحرث والنسل ، فاذا كان حظنا من حكمهم ؟ دمروا الدار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على داره الحراس والخفراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يجود بنفسه ، وينتظر أمر ربه ، وبناته مع أمهن امام سريره يطلقن العبرات ، ويصعدن الزفرات ، فقد عز عليهن ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن حيل بينه وبين أولاده الابرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فمنهم القريب الذي هو في حكم البعد ، والسجين الذي هو في حكم المستبعد ، . هذا والجنود السلطانية تحيط بهن ، وتطوف حول منزلهن ، شاكية السلاح ، مستعدة للكفاح ، تدل ببأسها وشدتها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية » وعظمتها ، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في قرية القلمون ، وهكذا قضى الوالد نحبه فانا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجلا آخر بغير حق واطمعته في الاستيلاء على عقاراتنا بدعوى انها وقف كما اطمعت غيره من أشقياء طرابلس فنهبوا ما وجدوا في الدار من الثياب والحلي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما تكون حكومة الدستور ، فحقوقنا لا تزال مهضومة لفساد الحكام ، واختلال الامن العام ، فهذا مجمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل من كثير ظلمها لغيرنا ، ممن أجرموا كاجرامنا ، فشكوا من الظلم والجهل ، ودعوا الى العلم والعدل ،

كان يصل الينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع العتو والافساد ، وبعد وفاة الاستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نجالسه فيه الى مجالسة اخواننا العثمانيين المقيمين في القاهرة فازددنا علما بسوء

المال ، وخطر المآل ، فأسسنا جمعية الشورى العثمانية لاجل جمع كلمة العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، لعلمنا بأن جمعية الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وان العثمانيين ما داموا متفرقين شيعا ، ومتقطعين مللا وأمما ، فحكمتهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ، فتألفت الجمعية من المسلمين صربهم وتركهم وألبانهم واكرادهم ، ومن النصارى عربهم وروسهم وأرمنهم ، ودعي اليها بعض اليهود ولكن لم يكن في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا العاجز (صاحب هذه الجملة) رئيسا لمجلس ادارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها ومنشوراتها السرية ، الى الروملي والاناطول بل والاستانة العلية ،

اهتم السلطان بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما علمنا من رواية العارفين الثقات ، فقد كان — وأقر الله بالسرور عينه ، ولا سيما في عهد الحرية جفنه ، — كثيرا ما يشارك أحرار أمته في أرقهم ، ويساهمهم في قلقهم ، وان كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمرو ! ، وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ ما كان من وحدتهم بعد حين ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر فرغب الينا ان نضم جمعيتنا الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة ذلك عليه ، وكان مما قلته له ان تعدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد لا يعد تفرقا ولا يحدث ضعفا ، وانا نرى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون جمعيتنا لا يمنع قبول غير المسلمين فيها ، قلت نعم وانا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه فما قانونكم — وليس في جمعيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني — الا

كقوانين السلطنة «حبر على ورق» ولو نفذ السلطان قوانين الدولة على علاتها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لاشراك الامة معه في الاحكام

هذا ملخص تاريخنا السياسي في السنين الخالية: سألنا السياسة فساورت وواثبت، وأسلسنا لها فجمحت وقحمت، وكنا نهم بها في بعض الاحيان، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام، ولم ننل منها ما نريده الا بعد ان اصطفاه الله، وليس للمنار حظ في السياسة العملية، وإنما همه أن يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة الملية، واذا كان (كسائر الصحف) قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة، فقد بقي عليه أن يجاهد مع غيره استبداد الامة. فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال، في العلوم والافكار والاعمال، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما يرى أصحابها، وان ينشر فيها ما يعتقدون لا ما يعتقد كتابها، وما كتاب الصحف الا معلمون ومرشدون، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون ويربي المرشد مريديه كما يريدون !!؟ وقد جرى على هذا كثير من أصحاب الصحف المصرية وما كانوا مصلحين، ويجري عليه الآن بعض أصحاب الصحف العثمانية وما هم بمهتدين، وسيبقى المنار على صراطه لا يبالي بالمخالفين،

نعم ان المنار يستقبل جهاداً جديداً في البلاد العثمانية، وقد فرغ من مثله فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية، فأكثر المسلمين العثمانيين، لم يألفوا حرية البحث في السياسة والعلم والدين، ينظر اغلب الباحثين الى القائلين دون الاقوال، وينصرون التقليد على الاستقلال، ولكن يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم، واستنارت بالحق بصيرتهم، يشعرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية، ويعلمون

انه يتوقف على استقلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلتهم ، ليغلبون أولئك على كثرتهم ، وسيبرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين لا مجالدين ، يتلون (٢ : ٢٤٩ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المنار أزرها ويشد بها أزره ، وينصرها في جهادها وتقاضاها نصره ، ٤٠ : ٢٢ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ●

سيقول السفهاء من الناس ، وأهل الارجاف والوسواس ، ان هذا المنار يدعو الى الفوضى في الدين ، بترك مذاهب الائمة المجتهدين ، وينصر مذهب الوهابية ، على مذهب السنة أي الحشوية ، ويبطل القول بالكرامات ، بأنحائه على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على هؤلاء ، ومن يقلدهم من السفهاء ، الذي يثبت انه يتحرى الحق والصواب ، ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب على مذهب ، هي قبوله انتقاد المنتقدين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أيدت الاولى بالعلم والعقل ، والثانية بما صح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ، واجتناب الحشو والاطناب ، فمن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ، دون أن يعصي الله بغيبته والطعن عليه ، وللحق السلطان على الباطل (٢١ : ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ١٣ : ١٧ فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)

منشئ المنار وحرره

محمد رشيد رضا الحسيني